

لا تهجروا مسيحيي سوريا



منذ سبع سنوات أقيمت محاضرة في عاصمة القلمون ب عنوان " النصرى في قلب الرسالة ". في ذلك التاريخ 10.3.2006 كان العالم العربي والاسلامي يصارع من كان وراء الصور الكاريكاتورية بحق رسول الاسلام. لذا وقبل إلقاء المحاضرة، قرأت على الحضور الكلمة المنشورة أدناه، باسمي وباسم مسيحيي المنطقة، وكانت تحمل العنوان التالي :

" كم من الجرائم ترتكب باسم الحرية "

في هذه الايام العصيبة التي تمرّ على سوريا، رأيت أن أعيد نشر ما سبق وكتبت، للأسباب المبيّنة أدناه :

- طوال سنوات، كان مسيحيّو ومسلمو سوريا يعيشون الأمن والأمان باحترام متبادل ومشاركة في المواطنة.
- كان المسلم يثق بجاره المسيحي، و المسيحي يأمن لجاره المسلم ويتشاركون في الأفراح وفي الأتراح.
- كان الإحترام متبادل حول الشعائر الدينية وفي دور العبادة والإحتفال ب شهر رمضان وصيام الأربعين.
- كلنا نذكر الإفطار الرمضاني الذي كان رجال الدين المسيحي يقيمونه للإخوة المسلمين بعد يوم صيامهم ؟...

قبل بضع سنوات من هذه الأحداث الأليمة ،

- أبدا لم نسمع في سوريا عن تدمير أو حرق أو تفجير أو تدنيس مسجد أو كنيسة ؟...
- أبدا لم نسمع في سوريا عن اعتداء أو خطف أو قطع رأس رجل دين مسيحي أو مسلم ؟...
- وما يصحّ على رجال الدين وبيوت العبادة ينسحب على أفراد الشعب في مسكنهم ومدرستهم وقوتهم اليومي.

ومع الأسف الشديد، وصلنا الى مرحلة شديدة الخطورة، فالنسيج السوري أصبح مهدداً في وجوده وفي وحدته التي كان يحسدنا عليها كل من حولنا. لأن لحمة نسيجنا أصبحت متعارضة مع سدى هذا النسيج، وإنتاج البروكار الدمشقي الرائع قد يتوقّف إذا استمرينا نحرق بعضنا... وبتوقّف صناعة البروكار تتصدّع وحدة سوريانا الغالية.

قد يكون هنالك أهمية إستراتيجية أو عسكرية أو سياسية للحميدية في حمص أو للسليمانية في حلب أو... لكن ألا يحقّ للمحلل أن يتساءل : أين الأهمية الإستراتيجية أو العسكرية أو السياسية ل كنيسة العذراء أم الزنار في حمص؟ المتفجرات والقنابل قد تكون دمّرت السقف أو الجدران، بشكل عرضي أو مقصود، لا ندري، لكننا ندري ونؤكد أن تدنيس الإنجيل والأيقونات والأواني الكنسية لا يمكن أن يحصل بشكل عرضي...

لنذهبن الى جبال القلمون، بعض القرى لها أهمية كبيرة دينياً وتاريخياً وحضارياً وسياحياً... لكن ما الأهمية العسكرية لكنيسة يزيد عمرها عن ألف وسبعمئة سنة حتى يتم تكسير صلبانها وأيقوناتها وأوانيتها الدينية ؟ المقصود هنا كنائس بيروود ومعلولا وعربين وربلة وغيرها وغيرها... أما الذي يندى له الجبين فقد نُشر على المواقع الإلكترونية، حتى الأجنبية، حول بعض المخلفات الدنيئة والفوارغ الحقيمة المرمية في إحدى كنائس صدد بعد طرد من ودنسها...

لقد علمنا كبار القوم والعائلة أن رجال الدين، المسلمين والمسيحيين، يمثلون مكارم الأخلاق على الأرض :

- لماذا اختفى الكاهنان مشيل كيال و ماهر محفوظ إثر اختطافهما هل لأنهما يعلمان 'أحب قريبك كنفسك' ؟
- لماذا حُطِفَ الأسقفان يوحنا إبراهيم و بولس يازجي منذ 22.4.2013 ولا يزال مصيرهما في عالم الغيب ؟
- لماذا قُتلت كوكبة من كان سلاحه الكلمة الطيبة ونبذ العنف والمناشدة للعودة الى التعايش التوافق والحوار ؟
- لماذا اغتيل الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي، هل لانه كان يدعو الى كلمة سواء، كلمة محبة وحوار؟
- لماذا اغتيل الشيخ محمد أحمد عوف صادق، ذلك الصوت الجريء الراض للتعف والفتنة والإقتتال؟
- لماذا اغتيل الأب باسيلوس نصّار، بينما كان يحاول مساعدة وإسعاف جريح في حي القلعة في حماة ؟
- لماذا اغتيل الشيخ سيد ناصر العلوي، برصاصة غادرة، أثناء تواجده قرب مقام السيدة زينب ؟
- لماذا حُزَّ بالساطور رأس الأب فرانسوا مراد وُضع على ظهره بعد التباهي برفعه عاليا أمام الحضور ؟
- ...والشيخ عبد اللطيف الشامي، والشيخ حسن برتاوي والأب فادي حداد...والقائمة تطول وتطول !...

الراهب الإيطالي باولو دالوليو، الذي أسس رهبانية ابراهيم الخليل في دير مار موسى الحبشي في النيك، نشر كتابا بالفرنسي بتاريخ 24.9.2009 بعنوان : "عاشق الإسلام المؤمن ب يسوع" وهذا الكتاب يعبر عن موقف الكاتب من الدين الإسلامي، وهذا حق له، وعلينا احترام رأيه... إنما نُغَطِّطُ موقفه من الأحداث الجارية في سوريا، فقد كان يحرض على محاربة الدولة وبكل صراحة. وقد أضيف: وبكل وقاحة، نغَطِّطُه لأن رجل الدين المسيحي ملزم باحترام ما جاء في الإنجيل المقدس: "أعطي الله ما لله ولقيصر ما لقيصر" وأن لا يحشر نفسه في سياسية الدولة التي فتحت له أبوابها وسهلت له امور رسالته. كان هذا الراهب يعتبر نفسه الأب الروحي والمفكر الساعي لتوحيد كل أطراف المعارضة في محاربة الدولة. وفي أواخر تموز وصل الى الرقة وأخذ يتجول في شوارعها ويتصل بالمجموعات المسلحة لتحقيق أحلامه الكبيرة. فجأة انقطعت أخباره عن العالم منذ 16.8.2013 وهناك من يؤكد أنه قُتِلَ تنفيذاً لحكم شرعي صدر بحقه !

والسؤال الكبير :

- كيف ولماذا يقتل راهب كتب "عاشق الإسلام المؤمن ب يسوع" على يد من عاش ومات وهو يساندهم ؟...

لقد جاء في سورة العنكبوت XXVI/46 في القرآن الكريم :

" وَلَا تَجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ
وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُمْ الْهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ"

إذا كان القرآن الكريم قد دعى المسلمين أن يجادلوا النصارى " بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ " كيف يسمح لنفسه بعض من يدعي أنه يجاهد، في سبيل الله، بخرطف وذبح رجال الدين من أهل الكتاب ؟ هل ظلموا أحدا طوال حياتهم كي يُظلموا ؟...

من أجل سوريا وطننا الجريح، تعالوا يا إخواني نعيد الوفاق والمحبة الى قلوب البشر ونعمّر ما تهدّم من الحجر... تعالوا نعمل لأخوتنا ب محبة كي نقابل وجه الله، يدُ المسيحي ب يد أخيه المسلم، لأن الله أكبر، لأن الله محبة...

ولهذا سبق وكتبت هذه الأسطر : " كم من الجرائم تُرتكب باسم الحرية "

" في هذه الأيام العصيبة، تواجه أمثنا هجمة شرسة غير مسبوقه، بدءاً باحتلال أرضنا إلى الاستهانة بتاريخنا و انتهاءً بالتطاول على مقدساتنا الاسلامية والمسيحية وصولاً إلى إهانة نبينا محمد ابن عبد الله، صلى الله عليه وسلم. لذا يتوجب علينا جميعاً أن نعيش هذه الأحداث الأليمة التي تمسّ صميم وجداننا فنتصدّى لها بما أوتينا من قوة، لا أن نتعايش معها، وبما أن أرضنا فجرت الحضارات وتاريخنا كتبه الأنبياء و مقدساتنا نزلت من السماء، علينا جميعاً أن نبقي لها أوفياء ونحميها بالأرواح والدماء.

يتوجب علينا أن نضع نصب أعيننا أن من يهين كرامة النبي العربي، يهين كرامة المسلمين والمسيحيين أيضاً... ومن يسخر من قرآن الإسلام يسخر من " كتاب النصارى" الذي يقّده ويجلّه القرآن الكريم، لذا على كل من يحترم الإنجيل أن يحترم القرآن أيضاً.

يتوجب علينا جميعاً أن نتذكر غيرة الراهب بحيرا على الفتى محمد، قبل ألف وأربعمائة سنة حين رآه في سفره قرب الشام فسأل عمه أبا طالب : أن يرده إلى بلده ويحذر عليه من اليهود.

يتوجب علينا - مسلمين ومسيحيين- أن نقف بوجه طغيان عبّاد المال وعبيد الظلم والظلام ومخططي المؤامرات الدنيئة، الذين تطاولوا على نبي الإسلام ، كما سبق وتطاولوا على المقدسات المسيحية وعلى المسيح عيسى ابن مريم وأمه العذراء المقدسة " وقالوا فيهم بهتاناً عظيماً " ... وذلك باسم حرية الرأي والتعبير... في حين أن من يعتبر نفسه وليّ أمر الحرية والديمقراطية في العالم، يسوق إلى المحاكم من يجرؤ ويلمّح إلى التمييز العنصري أو العرقي أو يبدي بعض الشكوك في المحرقة، أو حتى في عدد ضحاياها.

على كل مسيحيي الغرب أن يتفهّموا حمية وغيرة المسلمين على كرامة مقدّساتهم، وعليهم أن يتذكروا أن مسيح المحبة والتسامح ورفض العنف الذي قال :

" من ضربك على خدك الأيمن حول له الأيسر."

تحوّل إلى مسيح حميّة وغيره على مقدسات بيت الله وحمل السوط وطرد من الهيكل تجار الحمام والغنم والبقر والصيارفة المرابين صارخاً معنفاً :

" بيتي بيت صلاة يدعى، وأنتم تجعلونه مغارة لصوص."

جاء في وسائل الإعلام العالمية : يوم 1.8.2004 فُجرت سيارات أمام ست كنائس في بغداد والموصل، كما تتالت تفجيرات سيارات أخرى أمام خمس كنائس في بغداد يوم 16.10.200... ويوم 29.1.2006 انفجرت في بغداد وكركوك سبع سيارات مفخخة قرب وأمام سبع كنائس وبّ تزامن غريب...

- ما الغاية من هكذا تفجيرات سوى توسيع الهوة بين المسلم والمسيحي ؟. وإلى أين تريد أن تأخذنا يا بوش؟...
- ما الغاية من تفجير مسجدي الإمام الهادي والإمام العسكري في 23.2.2006 سوى تفجير خلاف الوطن؟...

لا أتهم أحداً، لكني أدكر أن ومعاهدة جنيف تحمّل الدولة المحتلة مسؤولية أمن البلاد التي تحتلها!...

كُتبت جريدة الديار اللبنانية يوم 9.2.2006 الكلمة التالية تحت عنوان :

" المسيح عندما يأتي سيكون نصير الفقراء والمستضعفين وليس نصير المحافظين الجدد "

في إحدى كلماته، توجه الأمين العام لحزب الله الى المحافظين الجدد في الإدارة الأميركية قائلاً : " فلنتعاون كل من موقعه على استعادة السيد المسيح الى الأرض لأن السيد المسيح عندما سيأتي الى الأرض سيكون نصير الفقراء والمستضعفين والجياع والعطاش والمظلومين، ولن يكون نصير شركات صنع السلاح وبيع المخدرات ونشر الفساد على امتداد العالم. وسيكون نصير كل مظلوم من المسلمين والمسيحيين وقطعا لن يكون مع المحافظين الجدد. "

يحضرني هنا قول مأثور للنبي العربي :

" أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة. "

ونحن كمسيحيين، نقف متكاتفين مع إخوتنا أبناء العشيرة المسلمين ونعتبر كل من يتهم على "الكتاب" و كأنه يتهم على "أهل الكتاب" وعلى مقدساتنا، وحين نقرأ الفقرة التي تخصنا في الآية الكريمة :

" ولتجنن أقربهم مودة للذين آمنوا، الذين قالوا إنا نصارى. "

نتذكر في الحال أن " أشد الناس عداوة للذين آمنوا... " هم أولئك الذين حرمونا من الحج إلى بيت المقدس وبيت لحم والناصره، كما حرموا إخوتنا المسلمين من التبرك بزيارة أولى القبلتين و ثالث الحرمين الشريفين.

نرفع صلواتنا إلى ربّ الكعبة، ربّ السموات والأرض، راجين منه أن يحقق أحلامنا وقراراتنا في استعادة أرضنا وزيارة قدسنا وحماية وطننا وشعبنا ورئيسنا و علمنا رمز وحدتنا. هذا هو رجاؤنا وهذه هي صفات المؤمنين، وكلنا مؤمنون وعلى الله متكلون وبمقدساتنا معتزون وبوحدتنا متمسكون، مسلمون ومسيحيون. "

رجائي الى أبناء سوريا، حافظوا على المسيحي المشرقي ولا تهجروه من أرض آبائهم وأجدادهم فهو ملح الأرض، وإذا هُجر المسيحي تصبح سوريا عنصرية بلون ديني واحد كما يحلم عدونا اللئيم...

شكراً وسلام الله عليكم ومعكم ولكم، دائما وأبدا...

بروكسل، في 11.11.2013

فؤاد عزيز القسيس